ملحمة عمر

مقاليد بيت المقدس

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر - ٨

ملحمة عمر

١ - على أسوار دمشق
٢ - معركة الجسر
٣ - كسرى وقيصر
٤ - أبطال اليرموك
٥ - تراب من أرض فارس
٦ - رستم
٧ - أبطال القادسية
٨ - مقاليد بيت المقدس
٩ - صلاة في الايوان
١٠ - مكيدة من هرقل
١١ - عمرو وخالد
١٢ - سر المقوقس
١٣ - عام الرمادة
١٤ - حديث الهرمزان
١٥ - شطا وارمانوسة
١٦ - الولاة والرعية
١٧ - القوي الأمين
١٨ - غروب الشمس

الناشر: دار البيان - ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

٣٥٠ فلس كويتي

موقع الأديب
علي أحمد باكثير
www.bakatheer.com

ملحمة عمر

مقاليدُ بيتِ المقدِسْ

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تونن
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الأول

عمر في بيته بالمدينة وعنده عُقْبة بن عامر الجُهَني رسولاً من عمرو بن العاص بفِلَسطين .

عمر : أنت ثالثُ رسول من عمرو بن العاص إليَّ . ما خطْبكم ؟ ألم تقْدروا على أيلياءَ والرملة ؟ انظرُوا ماذا فعل أبو عبيدةَ وخالدٌ في الشمال .

عقبة : يا أميرَ المؤمنين إن إيلياء رَبْوَةٌ حصينة عاليةُ الأسوار ، وعليها حصُونٌ تَرمي بالمَجَانيقِ ، وقد اعْتَصم بها داهِيةُ الروم الاطرَبُون وهو يدْفَعُ أهلَها وأهل فِلَسْطين إلى أعمالِ

عجيبةٍ وخُطَطٍ غريبة في مقاومتنا والكيْد لنا لا تخطُر على بالٍ .

عمر : قد كان في الشمال صاحبُهم ميناس، وهو أقْوَى شكيمةً وأشدُّ بطْشاً من الاطْربون، وقلاعُه في قنّسْرين أمنعُ وأحصنُ من قلاع إيلياء، فما أمْهَله خالد أن بَطَشَ به وأن فضَّ قِلاعه وهو يقول : والله لو كنتمُ في السّحاب لحملَنا اللهُ إليكم ولأنزلَكم اللهُ إلينا .

عقبة : يا أميرَ المؤمنين لا يقدرُ أحد أن يغض من فِعالِ خالدِ بن الوليد ، فإنه لنسيجُ وحده وإنه ليعِزُّ على النُّظَرَاء ، ولكن حالَنا في فلسطين مختلِفٌ . نحن موزَّعون في نواحٍ شتّى وعلى مَسالحَ ذوات عدَد ، وللاطْربون في كل منها قوةٌ وشوكة ، وأمرُه عليها جميعاً نافِذٌ . وهم يزاحفوننا فنصدهم ونردهم إلى حصونهم، وليس في وُسْعنا لقلة عددنا أن نتركَ بعضها ونتجمع في بعض ، وإلا

عرّضنا أنفسنا للخطرِ ، وألقينا بأيدينا إلى الهلَكة .

عمر : وهذا الصلحُ الذي عرُضوه يا عقبة؟

عقبة : لا يعدُو عندنا يا أمير المؤمنين أن يكون مكيدةً من الاطربُون حتى نأمنَ جانبَه أثناء انتظارنا لقدُومك فيأخذنا على غِرّة .

عمر : ولكن عَمْراً يحرُضني على المسِير إليهم .

عقبة : أجل يا أمير المؤمنين إنك إن قدمت إلينا قبل أن يبْطِشَ بنا الاطربون بطشتَه ، فربما انقلب أهلُ إيلياء عليه ، وأيدوا بِطْريقَهم الكبير صفرونيوس الذي يميل إلى عَقْدِ الصلح مع المسلمين ، ليجنّب المدينةَ المقدسةَ أهوالَ الحرب ، ويقِيَ أهلَها سوءَ المُنقلَب .

عمر : (ينظر إلى عقبة معجباً) والله لقد عرفَ ابنُ العاص كيف يختار رسولَه فماذا هو صانعٌ إذا جاء المددُ الذي طلبه ؟

عجيبةٍ وخُطَطٍ غريبة في مقاومتنا والكيْد لنا لا تخطُر على بالٍ .

عمر : قد كان في الشمال صاحبُهم ميناس، وهو أقْوَى شكيمةً وأشدُّ بطْشاً من الاطْربون، وقلاعه في قنّسْرين أمنعُ وأحصنُ من قلاع إيلياء، فما أمْهَله خالد أن بَطَشَ به وأن فضَّ قِلاعه وهو يقول : والله لو كنتمُ في السّحَاب لحملَنا اللهُ إليكم ولأنزلَكم اللهُ إلينا .

عقبة : يا أميرَ المؤمنين لا يقدرُ أحد أن يغض من فِعالِ خالدِ بن الوليد ، فإنه لنسيجُ وحده وإنه ليعِزُّ على النُّظَرَاء ، ولكن حالَنا في فلسطين مختلِفٌ . نحن موزَّعون في نواحٍ شتّى وعلى مَسَالحَ ذوات عدَد ، وللاطْربون في كل منها قوةٌ وشوكة ، وأمرُه عليها جميعاً نافِذٌ . وهم يزاحفوننا فنصدهم ونردهم إلى حصونهم ، وليس في وُسْعنا لقلة عددنا أن نتركَ بعضها ونتجمع في بعض ، وإلا

عرّضنا أنفسنا للخطرِ ، وألقينا بأيدينا إلى الهلَكة .

عمر : وهذا الصلحُ الذي عرُضوه يا عقبة ؟

عقبة : لا يعدُو عندنا يا أمير المؤمنين أن يكون مكيدةً من الاطربُون حتى نأمنَ جانبَه أثناء انتظارنا لقدُومك فيأخذنا على غِرّة .

عمر : ولكن عَمْراً يحرُضني على المسِير إليهم .

عقبة : أجل يا أمير المؤمنين إنك إن قدمت إلينا قبل أن يبْطِشَ بنا الاطربون بطشتَه ، فربما انقلب أهلُ إيلياء عليه ، وأيدوا بِطْريقَهم الكبير صفرونيوس الذي يميل إلى عَقْدِ الصلح مع المسلمين ، ليجنّب المدينةَ المقدسةَ أهوالَ الحرب ، ويقِيَ أهلَها سوءَ المُنقلَب .

عمر : (ينظر إلى عقبة معجباً) والله لقد عرفَ ابنُ العاص كيف يختار رسولَه فماذا هو صانعٌ إذا جاء المددُ الذي طلبه ؟

عقبة : إذا جاء المدد يا أمير المؤمنين وزّعْناه على مخافِرِنا هناك ، وسحبْنا منها رجالَنا المُدرّبين فنازلنا بهم إيلياء وظهورُنا محميةٌ حتى يفتحَها اللهُ علينا إن شاء .

عمر : (يحرك رأسه كالمقتنع بما سمع) هل رأيتَ يا أخا جهينة الجيش الذي جمعْناه في الجُرف؟

عقبة : نعم يا أمير المؤمنين.

عمر : فذلك ما أعددْتُه ليكونَ مدداً لكم إن شاء الله .

عقبة : فادرِكْنا به يا أمير المؤمنين وعجِّلْ قبل أن يُحدثَ اللهُ أمراً .

عمر : لا والله يا أخا جهينة حتى تنفرجَ غُمَّةُ القادسية عما فيه عزُّ المسلمين ونصرُهم ، وإلا كان أهلُ العراق أحقَّ منكم بالمدد . ويحك

عقبة : وجدْتُ الناسَ في كل مكان يترقبونها ولا حديثَ لهم غيرُها ، ولقيت ركْباناً يُحدّثون أن العرب قاطبة يترّبصونها من العُذَيب إلى عَدنِ أبْيَن ومن الأُبُلّة إلى بيت المَقْدِس ، يرَوْن أن ثباتَ ملكهم وزوالَه بها .

عمر : أفلا تنتظرون إذن حتى تنفرج ؟

عقبة : يا أمير المؤمنين إن يرِدِ الله بنا خَيْراً في فلسطين جعل النصرَ والدَبْرة للمسلمين في القادسية .

عمر : اللهم انصر المسلمين في القادسية كما نصرتهم في اليَرْموك !

عقبة : آمين يا رب العالمين .

عمر : (ينادي) يا يَرفأُ .. يا يرفأ ..

عقبة : إذا جاء المدد يا أمير المؤمنين وزّعْناه على مخافِرِنا هناك ، وسحبْنا منها رجالَنا المُدرّبين فنازلنا بهم إيلياء وظهورُنا محميةٌ حتى يفتحَها اللهُ علينا إن شاء .

عمر : (يحرك رأسه كالمقتنع بما سمع) هل رأيتَ يا أخا جهينة الجيش الذي جمعْناه في الجُرف؟

عقبة : نعم يا أمير المؤمنين.

عمر : فذلك ما أعددْتُه ليكونَ مدداً لكم إن شاء الله .

عقبة : فادرِكْنا به يا أمير المؤمنين وعجِّلْ قبل أن يُحدثَ اللهُ أمراً .

عمر : لا والله يا أخا جهينة حتى تنفرجَ غُمّةُ القادسية عما فيه عزُّ المسلمين ونصرُهم ، وإلا كان أهلُ العراق أحقَّ منكم بالمدد . ويحك خبّرني ماذا سمعتَ في طريقك عن القادسية ؟

عقبة : وجدْتُ الناسَ في كل مكان يترقبونها ولا حديثَ لهم غيرُها ، ولقيت ركْباناً يُحدّثون أن العرب قاطبة يتربّصونها من العُذَيب إلى عَدنِ أبْيَن ومن الأُبُلّة إلى بيت المَقْدِس ، يرَوْن أن ثباتَ ملكهم وزوالَه بها .

عمر : أفلا تنتظرون إذن حتى تنفرج ؟

عقبة : يا أمير المؤمنين إن يرِدِ الله بنا خَيْراً في فلسطين جعل النصرَ والدَبْرة للمسلمين في القادسية .

عمر : اللهم انصر المسلمين في القادسية كما نصرتهم في اليَرْموك !

عقبة : آمين يا رب العالمين .

عمر : (ينادي) يا يَرفَأُ .. يا يرفا ..

يرفأ : لبيك يا أمير المؤمنين (يظهر) .

عمر : (لعقبة) أقمْ عندنا أياماً يا عُقبة فقد أُلقِي

في رُوعي أن البشيرَ إن شاءالله آتٍ وشيكاً..
اليوم أو غداً أو بعد غدٍ.

(ينهض ويجمع رداءه) ويحك لقد أخّرتني عن الميعادِ يا أخا جهينة. هذا يرفأ مولى آل عمرَ فاذهَبْ معه ليُنزِلَك ويكرِمَك.

(يخرج منطلقاً)

يرفأ : هيّا بنا يا ضيْفَ أمير المؤمنين.

عقبة : (مستوقفاً يرفأ)
إلى أين انطَلَقَ أميرُ المؤمنين يا يرفأ ؟

يرفأ : إلى حيثُ يَنْطلق كلَّ صباح ليتنسّم أنباء القادسية.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(ترى عاتكة وبيدها ثوب ترفوه)

يرفأ : (يدخل)مولاتي ألم تفرُغي بعْدُ من رَفْوه؟

عاتكة : رويدكَ يا يرفأ ماذا يَعْجَلُك ؟

يرفأ : ألا تعرِفين يا مولاتي ماذا يعجِلُني ؟

عاتكة : (ضاحكة)قميصُ أمير المؤمنين الذي عليك؟

يرفأ : هو ذاك يا مولاتي. ماذا أنا قائلٌ له لو جاء ووجدَ قميصَه عليّ ؟

عاتكة : لا تقُلْ شيئاً حتى يسألَك.

يرفأ : وإذا سألَني ؟

في رُوعي أن البشيرَ إن شاء الله آتٍ وشيكاً..
اليوم أو غداً أو بعد غدٍ.

(ينهض ويجمع رداءه) ويحك لقد أخّرتني عن الميعادِ يا أخا جهينة. هذا يرْفا مولى آل عمرَ فاذهَبْ معه ليُنزِلَك ويكرِمَك.

(يخرج منطلقاً)

يرفا : هيّا بنا يا ضيْفَ أمير المؤمنين.

عقبة : (مستوقفاً يرفا)

إلى أين انطَلَقَ أميرُ المؤمنين يا يرفا ؟

يرفا : إلى حيثُ يَنْطلق كلَّ صباح ليتنسّم أنباء القادسية.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(ترى عاتكة وبيدها ثوب ترفوه)

يرفا : (يدخل) مولاتي ألم تفرُغي بعْدُ من رَفْوه؟

عاتكة : رويدكَ يا يرفأ ماذا يَعْجَلُك ؟

يرفا : ألا تعرِفين يا مولاتي ماذا يعجَلُني ؟

عاتكة : (ضاحكة) قميصُ أمير المؤمنين الذي عليك؟

يرفا : هو ذاك يا مولاتي. ماذا أنا قائلٌ له لو جاء ووجدَ قميصَه عليّ ؟

عاتكة : لا تقُلْ شيئاً حتى يسألك.

يرفا : وإذا سألني ؟

في رُوعي أن البشيرَ إن شاء الله آتٍ وشيكاً..
اليوم أو غداً أو بعد غدٍ.

(ينهض ويجمع رداءه) ويحك لقد أخّرتني عن الميعادِ يا أخا جهينة. هذا يرفأ مولى آل عمرَ فاذهَبْ معه ليُنزِلَك ويكرِمَك.

(يخرج منطلقاً)

يرفأ : هيّا بنا يا ضيْفَ أمير المؤمنين.

عقبة : (مستوقفاً يرفأ)
إلى أين انطَلَقَ أميرُ المؤمنين يا يرفأ ؟

يرفأ : إلى حيثُ يَنْطلق كلَّ صباح ليتنسّم أنباء القادسية.

(يخرجان)

المشهد الثاني

(ترى عاتكة وبيدها ثوب ترفوه)

يرفأ : (يدخل)مولاتي ألم تفرُغي بعْدُ من رَفْوه؟

عاتكة : رويدكَ يا يرفأ ماذا يَعْجَلُك ؟

يرفأ : ألا تعرِفين يا مولاتي ماذا يعجلُني ؟

عاتكة : (ضاحكة)قميصُ أمير المؤمنين الذي عليك؟

يرفأ : هو ذاك يا مولاتي. ماذا أنا قائلٌ له لو جاء ووجدَ قميصَه عليّ ؟

عاتكة : لا تقُلْ شيئاً حتى يسألَك.

يرفأ : وإذا سألَني ؟

عاتكة : فقل له إني أعرْتُك إياه ريْثَما أرفو قميصك .

يرفأ : لا يا مولاتي لا أستطيع .

عاتكة : ويلك كم لك في خدمةِ هذا الرجل ؟

يرفأ : عشرون عاماً ونَيِّف .

عاتكة : ولم تعرفْ بعدُ ما يُرضيه ممّا يُغْضِبه؟

يرفأ : ذلك يا مولاتي خطْبي معه . إني لأعمَل الشيء أبتغي فيه مرضاتَه فإذا هو يسخَطُ ويخْفقُني بالدِّرّة ، وأقَعُ في الشيء أخشَى فيه غضَبَه وعقوبتَه فإذا هو يحمَدُه لي ويثيبني عليه .

عاتكة : فهذا يا يرفأ مما يحمده لك ويثيبك عليه .

يرفأ : كلا يا مولاتي لا أجرؤ . نشدْتُكِ بالله إلا ما أعدت قميصي إليّ .

عاتكة : قبل أن أتِمَّ رفْوَه ؟

يرفأ : أتِمّيه يوماً آخرَ يا مولاتي .

عاتكة : ويلك أتُريدُني أن أرفُوَ لك كل يوم ؟

يرفأ : إن أمير المؤمنين يُوشِك أن يعود .

عاتكة : لِيَعُدْ !

يرفأ : مولاتي !

عاتكة : لو لم تُشْغِلْني بدخولك وخروجك وسؤالك وجدالك لفَرَغت منه .

يرفأ : صدقتِ والله ، أنا الذي جنَيْتُ على نفسي . (يهم بالخروج)

صوت : (يسمع من الخارج) أهـذا بيتُ أميرِ المؤمنين ؟

ثان : نعم .

الأول : بابُه مفتوحٌ !

الثاني : اقرعْ البابَ واستأذن . إني مُنْصرف .

الأول : جزاك اللهُ خيراً إذْ دلَلْتني .

(يقرع الباب)

عاتكة : انظر مَنْ الطّارقُ ؟

عاتكة : فقل له إني أعَرْتُك إياه ريْثَما أرفو قميصك .

يرفأ : لا يا مولاتي لا أستطيع .

عاتكة : ويلك كم لك في خدمةِ هذا الرجل ؟

يرفأ : عشرون عاماً و نَيِّفٍ .

عاتكة : ولم تعرفْ بعدُ ما يُرضيه ممّا يُغْضِبه ؟

يرفأ : ذلك يا مولاتي خطْبي معه . إني لأعمَل الشيء أبتغِي فيه مرضاتَه فإذا هو يسخَطُ و يخْفقُني بالدّرّة ، وأقَعُ في الشيء أخشَى فيه غضبَه وعقوبتَه فإذا هو يحمَدُه لي ويثيبني عليه .

عاتكة : فهذا يا يرفأ مما يحمده لك ويثيبك عليه .

يرفأ : كلا يا مولاتي لا أجرؤُ . نشدْتُكِ بالله إلا ما أعدت قميصي إليَّ .

عاتكة : قبل أن أُتِمَّ رفْوَه ؟

يرفأ : أتِمّيه يوماً آخرَ يا مولاتي .

عاتكة : ويلك أتُريدُني أن أرفُوَ لك كل يوم ؟

يرفأ : إن أمير المؤمنين يُوشِك أن يعود .

عاتكة : لِيَعُدْ !

يرفأ : مولاتي !

عاتكة : لو لم تُشْغِلْني بدخولك وخروجك وسؤالك وجدالك لفَرَغت منه .

يرفأ : صدقتِ والله ، أنا الذي جنَيْتُ على نفسي . (يهم بالخروج)

صوت : (يسمع من الخارج) أهـذا بيتُ أميرِ المؤمنين ؟

ثان : نعم .

الأول : بابُه مفتوحٌ !

الثاني : اقرعْ البابَ واستأذن . إني مُنْصرف .

الأول : جزاك اللهُ خيراً إذْ دلَلْتني .

(يقرع الباب)

عاتكة : انظر مَنْ الطّارقُ ؟

يرفأ : ويراني في قميصِ أمير المؤمنين ؟

عاتكة : وماذا يُدْريه أنـــه قميصُ أمير المؤمنين
(تدنو من الباب) مَنْ الطارق ؟

الأول : أنا سعد بن عُمَيْلة الفَزَاريّ رسولُ سعدِ بن أبي وقّاص إلى أمير المؤمنين .

عاتكة : ادخل ادخل ... الفتحُ إن شاء الله ؟

سعد : (يدخل) الفتحُ والنصرُ .

عاتكة : الحمدُ لله . انا عاتكة بنتُ زيد زوجُ عمر بن الخطاب . وهذا يرفأ مولى أمير المؤمنين .

سعد : وأين أمير المؤمنين ؟

عاتكة : ألم تجِىء أنت من طريق الرَّبَذَة ؟

سعد : بلى ..

عاتكة : فكيف لم تلْقَ أمير المؤمنين في طريقك ؟

سعد : ألقى أميرَ المؤمنين في طريقي ؟

عاتكة : إنه يخرج كلَّ صباح إلى ظاهرِ المدينـــة

يسأل الرُّكْبَان عن أهـــل القادِسية ، فإذا انتصَفَ النهار رجعَ .

سعد : إني ما لقيتُ غيرَ رجل واحد سألني فقلت له خيراً فطفِقَ يخُبُّ معي ويسألني سؤالاً بعد سؤال ، فخشِيتُ أن يلهِيَني عما كُلِّفْتُ به ، فنخست ناقتي فانطلقتْ بي حتى فُتُّه وهو يركُضُ خلفِي ويقول مهلاً مهلاً .

يرفأ : هـــذا أمير المؤمنين !. القميص يا مولاتي القميص !.

عاتكة : (متمسكة بالقميص) صِفْهُ لي يا أخا فَزَارة .

سعد : رجل أصلع طُوَال في أسْمَال .

عاتكة : هو أمير المؤمنين بعينه .

سعد : يا ويلَتَا قد هلكْتُ .

يرفأ : مصيبتي أنا أعظمُ من مصيبتك !

عاتكة : اجلس واسترحْ حتى يجيءَ أمير المؤمنين
(تهم بالخروج)

يرفأ : مولاتي ..

عاتكة : ابقَ أنت معه (تخرج)

يرفأ : يا ويْلتا قد هلكْتُ .

سعد : خبرني أيها الشيخُ ما خطبُك؟

يرفأ : هذا القميص الذي علي ..

سعد : ما بالُه ؟

يرفأ : قميص أمير المؤمنين .

سعد : لو لم أرَه اليوم ما صدّقتك .. هـذا أحسنُ حالاً من القميص الذي رأيته عليه .

يرفأ : أجل . هذا لِشقوتي خَيْرُ قَمِيصَيْه .

سعد : وما حَمَلك على لبسه؟ أليس لك قميصٌ ؟

يرفأ : قميصي ذلك الذي في يدِ مولاتي عاتكة ترفُوهُ .

سعد : إن كنت تخْشى أن يراهُ أمير المؤمنين عليك فاخلعه .

يرفأ : ليراني أمير المؤمنين بغير قميص ؟

سعد : اطلب قميصَك من مولاتك .

يرفأ : لقد ناشدتها فأبَتْ إلا أن تُكمل الرفو .. وي! هذا أمير المؤمنين قد أقبل !

سعد : ادخل إلى مولاتك لعلها قـد أكملت رفو قميصك .

يرفأ : بـــل خيرٌ لي أن أفوّض أمري إلى الله . (يتوجه نحو الباب ليستقبل مولاه) .

عمر : (صوته) يرفأ ألم يأْتِكم أحدٌ ؟

يرفأ : بلى يا أمير المؤمنين .. بشيرُ القادسية .

عمر : أين هذا الذي فاتَني بناقَتِه ولم يرحَم ضعفي؟ (يدخل) السلام عليك يا بشيرَ الفتح .

سعد : (في خجل وارتباك) وعليك السلام يا أمير المؤمنين .

عمر : (يصافحه) ما اسمُك .

سعد : سعد بن عُمَيْلة الفزاري يا أمير المؤمنين .

عمر : مرحباً بك يا سعد بن عُميلة .. اجلس ..

سعد : هلا أخبرتني يرحمك اللهُ أنكَ أميرُ المؤمنين؟

عمر : لا بأسَ عليك يا أخي .. اجلس على هذه الوِسادَةِ .

سعد : كان ينبغي يا أمير المؤمنين أن أنزلَ لك عن راحِلَتي .

عمر : لذلك لم أُخبرْك بحقيقتي .. ولقد وددت لو بقيتَ على سيْرِك الأولِ لأسمعَ منك أكثرَ مما سمعتُ .. ولكنك وَكَزْتَ الناقة فَفُتَّني .

سعد : سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : لا عليك يا أخا فزارة . هاتِ فإنا ننتظرُك على جمْر .

سعد : هذا كتاب سعد يا أمير المؤمنين .

عمر : (يأخذ الكتاب فيتصفحه ثم يلتفت إلى سعد) ألعَلّك جائعٌ يا سعد؟

سعد : لا يا أمير المؤمنين قد تبلَّغتُ في بعض الطريق .

عمر : بلى يا أخا فَزارة إني لأرَى الجوعَ في عينيك .. (ينادي) يا عاتكة يا عاتكة ..

عاتكة : (صوتها) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخلي لتسمَعي كتابَ الفتح . (تدخل عاتكة) .. اسمعي ما يقولُ سعدٌ في كتابه : أما بعد فإن اللهَ نصرنا على أهل فارسَ ، ومنحهم سُنَنَ من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويلٍ وزلزال شديد . وقد لقُوا المسلمين بقوة لم يَرَ الرَّاؤون مثلَها ، فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقلَه عنهم المسلمين . واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طُفُوف الآجام وفي الفِجاج ، وأصيب من المسلمين سعدُ بن عُبيد القاري وعمرو بن أم مكتوم ورجالٌ كثيرون معروفون ، ورجال لا نعلمُهم ، الله بهم عالمٌ ، كانوا يدوُّون بالقرآن إذا جَنَّ عليهم الليلُ دَوِيَّ النحل (تخنقه العَبْرةُ فيبكي بكاء شديداً ثم يمسح

سعد : هلا أخبرتَني يرحمك اللهُ أنكَ أميرُ المؤمنين؟

عمر : لا بأسَ عليك يا أخي .. اجلس على هـذه الوِسادَةِ .

سعد : كان ينبغي يا أمير المؤمنين أن أنزلَ لك عن راحِلَتي .

عمر : لذلك لم أُخبرْك بحقيقتي .. ولقد وددت لو بقيتَ على سيْرِك الأولِ لأسمعَ منك أكثرَ مما سمعتُ .. ولكنك وَكَزْتَ الناقة فَفُتَّني .

سعد : سامحني يا أمير المؤمنين .

عمر : لا عليك يا أخا فزارة . هاتِ فإنا ننتظرُك على جمْر .

سعد : هذا كتاب سعد يا أمير المؤمنين .

عمر : (يأخذ الكتاب فيتصفحه ثم يلتفت إلى سعد) ألعَلّك جائعٌ يا سعد؟

سعد : لا يا أمير المؤمنين قـد تبلّغتُ في بعض الطريق .

عمر : بلى يا أخا فَزارة إني لأرَى الجوعَ في عينيك .. (ينادي) يا عاتكة يا عاتكة ..

عاتكة : (صوتها) لبيك يا أمير المؤمنين .

عمر : ادخلي لتسمَعي كتـابَ الفتح . (تدخل عاتكة) .. اسمعي ما يقولُ سعدٌ في كتابه : أما بعد فإن اللهَ نصرنا على أهـل فارسَ ، ومنحهم سُنَنَ من كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويلٍ وزلزَال شديد . وقـد لقُوا المسلمين بقوة لم يَرَ الرَّاؤون مثلَها ، فلم ينفعهم الله بذلك بـل سلبهموه ونقَلَه عنهم المسلمين . واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طُفُوف الآجام وفي الفِجَاج ، وأُصيب من المسلمين سعدُ بن عُبيد القاري وعمرو بن أم مكتوم ورجالٌ كثيرون معروفون ، ورجال لا نعلمُهم ، الله بهم عالمٌ ، كانوا يدوُّون بالقرآن إذا جَنَّ عليهم الليلُ دَوِيَّ النحل (تخنقه العَبْرةُ فيبكي بكاء شديداً ثم يمسح

دمعه ويواصل القراءة) وهم آسادُ الناس لا يشبههم الأسودُ ولم يفضُل من مَضَى منهم من بَقِي إلا بفضْل الشهادة إذ لم يكتبْ لهم .

(يلتفت إلى يرفأ) انطلق يا يرفأ فمرهم ينادُوا الصلاة جامعة .

يرفأ : (متردداً) ..

عمر : ما خطبك ؟ . انطلق .. ينبغي أن نُبشِّرَ بها المسلمين الساعةَ .

يرفأ : هذا القميص يا أمير المؤمنين .

عاتكة : اخلعْه وخذْ قميصَك فقد رفوتُه (تلقي إليه بالقميص .

عمر : هاتِ هذا القميصَ (يأخذه منه) اخرجْ في القميص الذي عليك .

يرفأ : هذا قميصُك يا أمير المؤمنين .

عمر : ليس قميصُك بخير منه . انطلق ! (يخرج يرفأ) خُذيه يا عاتكة فما أراكِ أكملتِ رفوه .

وهاتي للبشير أحسنَ ما عندك فإنه ساعِبٌ لَاعِبٌ .

عاتكة : حباً وكرامة .. (تخرج ثم تعود بشيء من التمْر وكِسْرَة من خبز الشعير على خِوَان فتضعه أمام البشير)

عمر : تمرٌ وخبز شعير .. أليس عندك خيرٌ من هذا لبشير الفَتْح ؟

عاتكة : ما عندي والله خير منه .

عمر : باسم الله كُلْ يا سعد .. تبلَّغْ بهذا ، والليلة تتعَشَّى بدار الضيافة فتأكل خيراً من هذا الذي قدمَتْه لك عاتكة إن شاء الله . هل تستطيع أن تصفَ للمسلمين ما وقعَ في القادسية .

سعد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : فكُلْ إذن حتى لا تحدّثهم وأنت جائعٌ .

صوت : (يرتفع من ناحية المسجد) الصلاة جامعة .. الصلاة جامعة .

المشهد الثالث

في المسجد النبوي الشريف

عمر ينتحي ركناً فيه ومعه أهل الشورى فيهم عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وقد وقف دونهم أبو طلحة الأنصاري يحجبهم وفي يده السيف .

عمر : أكمل يا عثمانُ قراءةَ الكتاب ..

عثمان : (يتلو من رسالة في يده) وإني يا أمير المؤمنين أعالجُ حرباً كَؤُوداً صَدُوماً ، وبلاداً قد ادُّخِرَتْ لك ، فرأيك والسلام .

(يطوي عثمان الرسالة ويعيدها لعمر)

عمر : ها أنتم أُولاء قد علمتم أن أهل إيلياء قد أشجَوْا عمراً وأشْجاهم ، وإني قد رأيتُ أن أمدّه بالجيش الذي كنت جمعته لإمدادِ سعد بالقادسية ، وأن أسِيرَ بنفسي إليه فماذا ترَوْن ؟

عثمان : يا أمير المؤمنين أما المددُ فأرسله على الفور ، ولكن لا تسِرْ إليهم فليس ما يستَوْجب ذلك.

الزبير : وهذا الصلح الذي عرضُوه أليس جَدِيراً أن يرحلَ أميرُ المؤمنين من أجله ؟

عثمان : لو كانوا يريدُون الصلحَ حقاً لعقَدُوه مع عمرو بن العاص فهو عندهم .

الزبير : إنهم يرون مدينتَهم مقدسةً فيحبّون أن يعقدوا صلحَها مع أمير المؤمنين بنفسه .

عثمان : لا شك أنها مكيدةٌ من داهِيَة الروم الأطربون .

الزبير : أتذكر أطربون الروم يا عثمان وتنسى أطربون العرب؟

عثمان : أطربون العرب لم يقدِرْ منه على شيء .

الزبير : ويحك يا ابن عفّان وهـــل قدر هو أن ينالَ شيئاً من عمرو ؟ألم يَكِدْ له عمرو في أجنادين، إذ ذهب يقابلُه بنفسه على أنه رسولٌ من عمْرو حتى إذا أُلقِيَ في رُوع العِلْج أنه عمرو أو أنه الذي يأخذ عمْروٌ برأيه ، وأسرّ له الغـدْرَ وعزم على قتله ، كادَ له عمرو كيدة أخرى فتخلص منه بسلام ؟

عمر : (معجباً) هِيه يا زبير .. لقد والله أنصفتَ أطربون العرب .

عثمان : فما بالُ أطربونكم هذا وقف عاجزاً دُون أسوار إيلياء زُهاءَ عامٍ ينتظر ؟

عمر : كلا يا عثمان انه لم ينتظر هناك وإنما ضربَ عليها الحصارَ وتركها لبعضِ رجالِه وذهب

يفتح غزة ورَفَح وسبسْطية ونابلُس ولُدّ وعَمَواس ويافا وبيت جبرين ومرج عيون وغيرها من مدن فلسطين .

طلحة : (متعجباً) عجباً يا أمير المؤمنين إنك لتحفظُ أسماءَ هذه المدن .

عمر : ويحك يا ابن عبد الله من حُمِّل أمانة فعليه أن يحفَظَها .

الزبير : إني أرى يا أمير المؤمنين أن تتوكّلَ على الله وتسيرَ إليهم بنفسك ، فإن أرادُوا صلحاً عقدْتَـــه معهم ، وإن أرادوا غـــير ذلك فسيكْفيك اللهُ أمرَهم .

عثمان : كلا لا تفعل يا أمير المؤمنين . إنك إن أقمت ولم تسِرْ إليهم وقد طلبوا قدومَك رأوا أنّك بأمرهم مُستخفّ ، ولقتالهم مستعدّ ، فلم يلبثوا إلا اليسير حتى ينزلوا على الصَغار ويعطُوا الجزية .

عمر : وماذا ترى يا أبا الحسَن فإنا لم نسمع رأيَك؟

علي : أما أنا فأرَى أن تذهبَ يا أمير المؤمنين فقد أصاب المسلمين جَهْدٌ عظيم من البرْد والقتال وطولِ المُقام، فإذا أنت قدِمْتَ عليهم كان لك وللمسلمين الأمنُ والعافيـــةُ والصلاح والفتح إن شاء الله. ولستُ آمنُ إن لم تفعل أن يَيْأَسُوا منـــك ومن الصلح ويمسكوا حصنَهم ويأتيهم المددُ من بلادهم وطاغيتهم، لا سِيّما وبيت المقدس معظّم عندهم وإليه يحُجُّون.

عثمان : لكنّ أبا الحسن أشار بغير هذا الرأي يوم صِرَار.

علي : ذلك أن أمير المؤمنين لا يقدم اليوم على خطرٍ فقد أذلّ اللهُ الرومَ للمسلمين، وإنما هي مدينةٌ مستعصِيَة بأسوارها طال عليهم حصارُها، فأرى أن قدومَ أمير المؤمنين على المسلمين

هناك أنْدَى على نفوسهم وأبعثُ لعزائمهم وأهيبُ في صدور العدو، فتوكل على الله فإن لك بكل خطوَةٍ تخطوها حسنة، وفي كل ظمإٍ ومَخْمَصَة حسنة، وفي كل واد وكل فَجّ وكل شِعْب.

عمر : لله أنت يا أبا الحسن لقـــد والله أرْوَيْت وشفيت.

عبدالرحمن : لا تعْجَـل يا أمير المؤمنين حتى تسمع مـا عندي.

عمر : قل يا عبد الرحمن ما عندك.

عبدالرحمن : ما بَرح في نفسي شيء من مَسِيرك إلى الشام وترْكِك المدينةَ وليس ما يُلجئُك إلى ذلك. هذا أبو عبيدة يمْضِي فاتحاً في شمـال الشام مُضِيٌّ الشفرة في قطعة العجين.

طلحة : لا تنسَ يا ابن عوف أن معه هناك سيفُ الله خالد بن الوليد ... ألم ترَ كيف قـال لأهل

قِنّسرين لما تحصنوا في قلعتهم بعدما هزمهم في حاضرها وقتل كبشهم ميناس : والله لو كنتم في السحاب لَحَملَنا الله إليكم أو لأنزلكم الله إلينا. كلمة والله لا يقولها إلا خالد !

عمر : صدقت يا أبا محمد . عجزت النساء أن يلدْن مثل أبي سليمان .والله لأستعملنّه على قنّسرين وما حولها ليكون نَكالاً للروم إذا حدثتهم أنفسهم بالكرَّة .

عبدالرحمن: أما إنك لراضٍ عنه اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : أَجَلْ لقد أمّر خالدٌ نفسَه..رحم الله أبابكر. هو كانَ أعلمَ بالرجال مِني .

عبدالرحمن: فهلا أمددْتَ به عَمْراً بنَ العاص يا أمير المؤمنين فانّي لأحسب أن ليس لإيلياء غير خالد .

طلحة : إي والله يا أمير المؤمنين ليس لها غيرُ سيف الله .

عبدالرحمن: وتبقَى أنت يا أمير المؤمنين بالمدينة وخلاكَ ذَمٌّ .

عثمان : هذا والله الرأي يا أمير المؤمنين .

عمر : (بعد صمت قصير وهو ينظر ملياً إلى عبد الرحمن)لا يا ابن عوف لقد أبعدتَ مرماك.. أما إن في سيف خالد لرَهقاً ، وإنك لأولُ من يعلم ذلك ، وهذه مدينة مقدَّسة عندنا وعند أهل الكتاب .

علي : هُديتَ الرشد يا أمير المؤمنين .. إن لك في رسول الله لأُسوةً حسنة ، فقد أوصانا يوم فتح مكة بالرفق بأهلها ونهانا عن العُنْف ، وإنّ بيت المقدس لفيه المسجدُ الأقصى الذي بارك الله حوله والذي كان قبلتَنا الأولى قبل أن نؤمرَ بتولية وجُوهنا شَطْرَ الكعبة .

عمر : بوركت يا ابن أبي طالب لا عَدِمْنا رأيَك وعلمَك . أما والله إن رفقَ عمرو بن العاص لخيرٌ عندي من عُنف خالد بن الوليد .

علي : فإذا ضممت إلى رفق عمرو رفقَك يا أمير المؤمنين، كان ذلك أجدرَ بمكان بيتِ المقدس وأوفى بما هو أهلٌ له من التوقِير والتعْظيم.

عمر : يا أبا طلحة . ائتِني الآن برسُول عمرو بن العاص .

(يخرج أبو طلحة ويغيب قليلاً ثم يعود ومعه عقبة بن عامر الجهني) .

عمر : هلُمَّ يا أخا جهينة .. أبشِرْ فقد انجَحَ الله مُهمتَك.

عقبة : (فَرحاً) الحمد لله يا أمير المؤمنين .

المشهد الرابع

في بيت الشيخ صفرونيوس بِطَريق بيت المقدس وعنده رومانوس متنكراً في زي قسيس .

رومانوس : ما بالُك تنظر إليَّ ؟

صفرونيوس : هذا الزيّ الذي عليك .

رومانوس : لا تخفْ..لن يعرفَني فيه أحدٌ .لقد لَقِيَني اليوم أحدُ معارفي من بُصْرَى وجهاً لوجه فلم يعرفني.

صفرونيوس : أين لقيك ؟

رومانوس : عند باب المدينة وأنا داخل.

صفرونيوس : ليتك تبقى في زيك هذا إلى الأبد.

رومانوس : (يضحك) تتمنّى أن أعود مسيحياً كما كنتُ؟

صفرونيوس : نعم فمثلُك ينبغي أن يعودَ إلى الحظيرة.

رومانوس : وأنا أتمنّى لو يهديك الله كما هداني!

صفرونيوس : (في شيء من الغضب) رومانوس.. انظر ما تقولُ.

رومانوس : لا تغضَب يا سيدي البِطْريق إنك حين تصيرُ مسلماً تكونُ مسيحياً وزيادةً.

صفرونيوس : لا أريد الزيادةَ.. أريد أن أكون مسيحياً فحسْب.

رومانوس : إذن يفوتُك خيرٌ كثير..

صفرونيوس : اسمع يا رومانوس. إن شئت أن تبقى صديقاً لي فاكفُفْ عن دعْوَتي إلى دينك.

رومانوس : ماذا يَضِيرُك من ذلك؟

صفرونيوس : تجادلُني في ديني وتقول لي ماذا يَضِيرُك في ذلك؟

رومانوس : أنا أجادلك بالتي هي أحسَنُ.

صفرونيوس: لا أريد جِدالاً البتّة.. لا بالتي هي أحسَن ولا بالتي هي أسْوأُ.

رومانوس : تذكَّرْ يا سيدي أنك أنت الذي بدأْتَ في جِدالي..

صفرونيوس: كلا أنا ما جادلتك، وإنما لُمْتُك على ارتدادك عن دينك ودين آبائك.

رومانوس : إن الحَوارِيين الذين آمنوا بالسيد المسيح قد اتهمَهُم اليهودُ بالرِّدَّة والضلالة كما تتهِمُني الآن.

صفرونيوس: أين هذا من ذاك؟

رومانوس : لو فتحتَ قلبَك للحق ولم تتبع الهَوَى لأيقنت ألّا فرقَ بين هذا وذاك.

صفرونيوس: إن الحَوارِيين لم يخونوا قومهم.

رومانوس : لكنهم خانُوا قيصر إذْ وَفُوا لِلهِ.. وأنا كذلك ما خُنْتُ قومي وإنما خنت قيصرَ إذ

وفّيت لله ، والله أكبر من قيصر .

صفرونيوس : إنك سلّمت بُصْرَى للغزاة .

رومانوس : بل حقنت دماء أهلِها إذ حملتُ المسلمين على مُصالَحتهم بعدما انتصرُوا عليهم .

صفرونيوس : ما كان المسلمون لينتصروا لو لم تُعِنْهم وتدخُلْ في دينهم .

رومانوس : فكيف انتصروا على ولاياتِ دمشقَ وحمص وقنّسرين وانطاكية وغيرها؟ هل أسلَمَ حُكّامُ هذه الولايات كما أسلمْتُ ؟ وهل أعانوهم كما زعمتَ أني أعنتُ ؟

صفرونيوس : أتنكر أنك أعَنْتَ المسلمين ؟ ألم تحفُر لهم ذلك المَمَرَّ السِّرِّيَّ من الأسوارِ إلى بيتِك؟

رومانوس : ما حفرتُه ليدخلَ منه المسلمون بل لأخرجَ أنا من خِلَالِه . فقد ائتَمَر بي رجالُ الدين في المدينة وأوْعَزُوا للجيش فحاصَرُوا بيتي وحبَسُوني فيه .

صفرونيوس : لأنك جاهَرْت بالإسلام ودعوت إليه .

رومانوس : أجل إني آمنتُ بهذا الدين عن اقتناع وبعد طُول نَظَر وتفكير ، وظلَلْت أكْتُمُ إيماني حتى وقفَ المسلمون على أبواب بُصْرَى فدعَوْتُ أهلَها إلى الإسلام حتى يكونَ لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فنَفَرُوا وثاروا وحاصُوا حِيصة حُمُر الوَحْش ، فدعوتهم إلى مُصالحة المسلمين فأبَوْا كذلك ، فقلت اختاروا من بينكم من يحكمكم مكاني ، ودعوني أخرجْ من مدينتكم وأنضم إلى المسلمين فأبَوْا عليَّ ذلك وحبَسُوني في بيتي وتوعدوني بالقتل ، فما كان مني إلا أن حفرْت ذلك السرداب فتسلّلت منه لأنجُوَ بحياتي وديني .

صفرونيوس : لكن المسلمين دخلُوا إلى المدينة من ذلك السرداب وأنت دلَلْتَهم عليه .

رومانوس : أوَتظُن أنهم كانوا يعجِزون عن فتحها

لولا السرداب ؟ لقد حضر خالد بن الوليد إذْ ذاك وأوْشك أن يقتحِم أسوارَها، وإذ لاعتبَرَها فُتِحتْ عنوةً ، ولمَا رَضِيَ أن يصالح أهلها على الجزْية .

صفرونيوس: لكل أهـل بُصْرَى ما زالوا يعتبرونَكَ خائناً لَهم .

رومانوس : بعضُ رجال الدين من الملَكَانِيّين فقط . أما سائرُ أهلها وأكثرُهم من اليَعَاقِبَة فيدْرِكُون أنني أنقذتُهم من سُوء المصير ، وحفِظتُ عليهم حقوقهـــم وأملاكَهم ، وأعدت إلى مذهبهم ما سلَبَه القيصرُ من حريتِه .

صفرونيوس: (يتنهد) صدقت يا رومانوس. إن البدْعة التي فرضها هِرَقْل على الناس كانت أكبرَ عَوْن لهؤلاء المسلمين إذ جعلت قلوب الناس تميل إليهم وترتحب بانتصارِهم .

رومانوس : إذا قضَى اللهَ أمراً هيأَ له الأسباب ومهَّد له السبيلَ ، وقد قضَى بظُهُور هذه الرسالَةِ

الجديدة ، لتُخرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور ومن العُبُودية إلى الحرية .

صفرونيوس: عدتَ مرة أخرى إلى التبْشِير بدينك !

رومانوس : كلا يا سيدي البطريق (يتلو تلاوة القرآن) « لَا إكْراهَ في الدين قـد تبيَّنَ الرشْدُ من الغَيّ » . « فمنْ يكفرْ بالطاغوت ويؤْمِنْ بالله فقد استمسك بالعُروة الوثقى لا انفصامَ لها » . « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساءَ فعليها وما ربك بظلام للعبيد » .

صفرونيوس: ما هذا ؟

رومانوس : آياتٌ من القرآن .

صفرونيوس: لماذا إذن تحاول أن تُكرهَني على دينك ؟

رومانوس : إن الذي حاول أن يكرهك على غير دينك إنما هو هرقل. أما الإسلام فقد جاء ليَضْمَنَ لك ولغيرك الحريةَ فيما تَدِينُون ومـا تعتقدون (يتلو تلاوة القرآن) « وقالت

اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

صفرونيوس: أهذا من القرآن أيضاً ؟

رومانوس : نعم .

صفرونيوس: آه لو ترك هرقلُ الناس أحراراً في مذاهبهم. آه لو لم يُصْغِ إلى بدْعة سرجيوس !

رومانوس : في إمكانك أنت أن تتداركَ هذا الأمرَ إذا صالَحْتَ المسلمين على إيلياء .

صفرونيوس: قد علِمتَ أننا طلبْنا أن يجيء أميرُ المسلمين بنفسه ليعْقِدَ معنا كتاب الصلح.

رومانوس : لكن الأطربون غيرُ مخلص في طلبه هذا ، وأخوفُ ما أخافه أن يأتيَ أمراً يعرّضكم جميعاً لغضب المسلمين .

صفرونيوس : لسنا مسئولين عن الاطربون .

رومانوس : بلى أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلّم باسْمكم .

صفرونيوس: إنه حاكمُ فلسطين من قِبَل هِرَقْل فماذا نصنع ؟

رومانوس : أنت بِطْريق إيلياء ولك في قلُوب أهلِها مكانةٌ ليسَتْ للاطربون .

صفرونيوس: أتريدُ منّي يا رومانوس أن أخلعَ سلطانَ هِرَقْل ؟

رومانوس : إن كنْتَ تريدُ أن تنقذَ المدينة المقدسة !

اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

صفرونيوس: أهذا من القرآن أيضاً ؟

رومانوس : نعم .

صفرونيوس: آه لو ترك هرقلُ الناس أحراراً في مذاهبهم. آه لو لم يُصْغِ إلى بِدْعَة سرجيوس !

رومانوس : في إمكانك أنت أن تتداركَ هذا الأمرَ إذا صالَحْتَ المسلمين على إيلياء .

صفرونيوس: قد علِمتَ أننا طلبْنا أن يجيءَ أميرُ المسلمين بنفسه ليعْقِدَ معنا كتاب الصلح.

رومانوس : لكن الأطربون غيرُ مخلص في طلبه هذا ، وأخوفُ ما أخافُه أن ياتيَ أمراً يعرّضكم جميعاً لغضب المسلمين .

صفرونيوس : لسنا مسئولين عن الاطربون .

رومانوس : بلى أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلّم باسْمكم .

صفرونيوس: إنه حاكمُ فلسطين من قِبَل هِرَقْل فماذا نصنع ؟

رومانوس : أنت بِطريق إيلياء ولك في قلُوب أهلِها مكانةٌ ليسَتْ للاطربون .

صفرونيوس: أتريدُ منّي يا رومانوس أن أخلعَ سلطانَ هِرَقْل ؟

رومانوس : إن كنْتَ تريدُ أن تنقذَ المدينة المقدسة !

اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

صفرونيوس: أهذا من القرآن أيضاً ؟

رومانوس : نعم .

صفرونيوس: آه لو ترك هرقلُ الناس أحراراً في مذاهبهم. آه لو لم يُصْغِ إلى بِدْعة سرجيوس !

رومانوس : في إمكانك أنت أن تتداركَ هذا الأمرَ إذا صالَحْتَ المسلمين على إيلياء .

صفرونيوس: قد علِمتَ أننا طلبْنا أن يجيءَ أميرُ المسلمين بنفسه ليعْقِدَ معنا كتاب الصلح.

رومانوس : لكن الأطربون غيرُ مخلص في طلبه هذا ، وأخوفُ ما أخافُه أن يأتيَ أمراً يعرّضكم جميعاً لغضب المسلمين .

صفرونيوس : لسنا مسئولين عن الاطربون .

رومانوس : بلى أنتم مسئولون عنه ما دام يتكلّم باسْمكم .

صفرونيوس: إنه حاكمُ فلسطين من قِبَل هِرَقْل فماذا نصنع ؟

رومانوس : أنت بِطْريق إيلياء ولك في قلُوب أهلِها مكانةٌ ليسَتْ للاطربون .

صفرونيوس: أتريدُ منّي يا رومانوس أن أخلعَ سلطانَ هِرَقْل ؟

رومانوس : إن كنْتَ تريدُ أن تنقذَ المدينة المقدسة !

المشهد الخامس

فناء دَيْرٍ في بأيْلَة في مرتفع من الأرض على الطريق يُرى راعي الدير القُمُّص يعقوب جالساً وعنده اثنان من أتباعه وزوجتاهما

ماريا : (تنظر إلى الطريق) يا أبانا القُمُّص . الشمّاسان زكريا ويوسف قد أقبلا .

داود : إنهما ليُهَرْوِلان !

القمص : لا ريبَ ان عندهما نبأٌ عن عُمر ملكِ المسلمين.

(يدخل زكريا ويوسف)

القمص : ما الخبر يا وَلَدَيّ ؟

زكريا : وصلَ ملكُ المسلمين إلى الديرِ الصغير حيثُ

يستريحُ قليلاً ثم يُواصل سيرَه .

داود : إذن فليس بيننا وبينه غيرُ مرحلةٍ واحدة .

القمص : هل استطعتُما أن تقابِلاه ؟

زكريا : قابَلْناه بغيْر استِئْذَانٍ .

القمص : كيف ؟

يوسف : ليس دُونَه حراسٌ ولا حجابٌ .

القمص : ليس معه أحد .

زكريا : معه نفَرٌ قليل من أصحابه ولكنه كأيّ واحد منهم .

القمص : وماذا قال لكما وماذا قُلْتُما له ؟

زكريا : بلَّغْناه تحيتَك وترحيبَك بنزوله عندك فتهلّل وجهه وسُرَّ ، وقدَّم لنا من هذا التمر (يناول حفنةَ التمر للقمص فيفرقُها القمص على الحاضرين وهم ينصتون للحديث في دهش)

يوسف : ولما أردنا الانصرافَ قال لنا بلّغا تحيتي لشيخِكما الرّاعِي الصالح ، وقولا له اني

المشهد الخامس

فِناء دَيْرٍ في بأيْلَة في مرتفع من الأرض
على الطريق يُرى راعي الدير القُمُّص يعقوب
جالساً وعنده اثنان من أتباعه وزوجتاهما

ماريا : (تنظر إلى الطريـــق) يا أَبَانا القُمُّص .
الشمّاسان زكريا ويوسف قد أقبلا .

داود : إنهما ليُهَرْوِلان !

القمص : لا ريبَ ان عندهما نبأٌ عن عُمر ملكِ المسلمين.
(يدخل زكريا ويوسف)

القمص : ما الخبر يا وَلَدَيّ ؟

زكريا : وصلَ ملكُ المسلمين إلى الديرِ الصغير حيثُ

يستريحُ قليلاً ثم يُواصل سيرَه .

داود : إذن فليس بيننا وبينه غيرُ مرحلةٍ واحدة .

القمص : هل استطعتُما أن تقابِلاه ؟

زكريا : قابَلْناه بغيْر استِئْذَانٍ .

القمص : كيف ؟

يوسف : ليس دُونَه حراسٌ ولا حجابٌ .

القمص : ليس معه أحد .

زكريا : معه نفرٌ قليل من أصحابه ولكنه كأيّ واحد منهم .

القمص : وماذا قال لكما وماذا قُلْتُما له ؟

زكريا : بلّغْناه تحيتَك وترحيبَك بنزوله عندك فتهلّل وجهه وسُرَّ ، وقدّم لنا من هذا التمر (يناول حفنةَ التمر للقمص فيفرقُها القمص على الحاضرين وهم ينصتون للحديث في دهش)

يوسف : ولما أردنا الانصرافَ قال لنـــا بلّغا تحيتي لشيخِكما الرّاعِي الصالح ، وقولا له اني

نازلٌ بجوارِه اليوم إن شاء اللهُ .

ماريا : وما شكلُ هـذا الرجلِ وما هيئتُه ؟ألا تصفانه لنا ؟

انا : لا بد أنه مثلُ شيوخ العرب الذين نراهم في المواسم يرتدون الحِبَر وعلى رؤوسهم تيجانٌ من اللؤلؤ والخرز .

زكريا : كلا كلا لن تصدقونا إذا حدثناكم ، فانتظروا حتى تروه بأعينكم .

ماريا : كلا لا نستطيع أن ننتظر . لقد زدتنا شوقاً إلى صفته .

القمص : صفانا أنت يا يوسف . نحن نحب الوصف خير من حضوره .

يوسف : حسناً إنه يركب [illegible]

[illegible]

[illegible]

ويلبس كما تعلمون ، ثوباً من الصوف ، ملفلفاً كالعمامة ، وله قفطان فوقه ، تلوح صلعته للشمس ،

ليس عليه قَلَنْسوة ولا عِمامَـة ، تصْطَفِقُ رجلاه بين شُعْبَتَي الرحل بلا رِكاب . فما صدّقناني أول الأمر أنّ هذا هو ملك المسلمين. ولما أناخَ وقفنا ناحيةً ننظر إليه فإذا وِطاؤه إذا رَكِب هو فِراشُهُ إذا نزلَ . وإذا له شَمْلَة محشوة لِيفـاً هي حقيبتُه إذا ركب ووسادتُه إذا نزَل ، وإذا عليه قميصٌ من كرابيس قد رُسِّم وتخرّقَ جنبه .

القمص : قميصه متخرق ؟

زكريا : نعم .

(يغيب القمص داخلَ الدير ثم يعودُ مسرعاً وبيده قماشٌ من الكتّان)

القمص : ماريا يا بنتي هل لك أن تُفَصِّلي قميصاً نَهديه لملك المسلمين ؟

زكريا : أجل يا أبانا هذا خيرُ هدية تقدمها إليه .

ماريا : (تأخذ القماش) كيف أفصّله دون أن أعرف قدّه ؟

نازلٌ بجوارِه اليوم إن شاء اللهُ .

ماريا : وما شكلُ هـذا الرجلِ وما هيئتُه ؟ألا تصفانه لنا ؟

انا : لا بد أنه مثلُ شيوخ العرب الذين نراهم في المواسم يرتدون الحِبَر وعلى رؤوسهم تيجانٌ من اللؤلؤ والخرز .

زكريا : كلا كلا لن تصدقونا إذا حدثناكم ، فانتظروا حتى تروْه بأعينكم .

ماريا : كلا لا نستطيعُ أن ننتظرَ . لقد زدتنا شوقاً إلى صفته .

القمص : صِفْه لنا أنت يا يوسف . أنت عربي تُحْسن الوصفَ خيراً من صاحبِك .

يوسف : حباً يا أبانا وكرامة . أتدرُون كيف رأيناه أولَ ما رأيْناه ؟

رأيناه راكباً على جَمَلٍ أوْرَقَ ، مُنيفاً كأنما هوَ واقِف فوقه ، تلوح صَلْعَتُه للشمس ،

ليس عليه قَلَنْسوة ولا عِمامَـة ، تصْطَفِقُ رجلاه بين شُعْبَتَي الرحل بلا رِكاب . فما صدّقنا في أول الأمر أنّ هذا هو ملك المسلمين. ولما أناخَ وقفنا ناحيةً ننظر إليه فإذا وِطاؤه إذا رَكِب هو فِراشُهُ إذا نزَلَ . وإذا له شمْلَة محشوة لِيفـاً هي حقيبتُه إذا ركب ووسادتُه إذا نزَل ، وإذا عليه قميصٌ من كرابيس قد رُسِّم وتخرّقَ جنبه .

القمص : قميصه متخرق ؟

زكريا : نعم .

(يغيب القمص داخلَ الدير ثم يعودُ مسرعاً وبيده قماشٌ من الكتّان)

القمص : ماريا يا بنتي هل لك أن تُفَصِّلي قميصاً نَهدِيه لملك المسلمين ؟

زكريا : أجل يا أبانا هذا خيرُ هدية نقدمُها إليه .

ماريا : (تأخذ القماش) كيف أفصّلُه دون أن أعرفَ قدَّه ؟

زكريا : كم قميصاً يكفي هذا ؟

ماريا : قميصين.

زكريا : فاعمِليه قميصاً واحداً .

(تبتسم ماريا ثم تأخذُ في تفصيل القميص وخياطته)

القمص : اذهَبا الآن فاغسِلا وجوهكما. جُزيتُما خيراً.

(يخرج زكريا ويوسف)

أنّا : أيُّ ملك هذا الذي سمعنا وصفَه ؟ انه لشيءٌ عجيب .

ماريا : هذا يا أنّا هو الذي ضرَب القيصرَ هِرَقْل على رأسِه .

داود : والذي أنقذَ مذهَبَنا من طُغيانه وطغيان قسَاوِسَته .

القمص : أجل يا أصدقائي إن للربِّ سُبُلاً لا نكادُ ندركها نحن البشرَ ، فلا عجبَ ان جاء هؤلاء المسلمُون وهم لا ينتمون إلى ديانتنا

المسيحية ليعيدُوا لنا حريتنا الدينية التي سلبَها منا إخوانٌ لنا في المسيح !

ماريا : كلا يا أبانا القمّص ليْسَ هؤلاء الروم إخواناً لنا في المسيح ، وإلّا لَمَا اضْطَهَدُونا ليحملُونا على اتباع مذهَبِهم الخارج على المذهب الصحيح .

جريجوري: يا عَزيزتي إن أبانا يعْني أنهم منسُوبُون إلى المِلّةِ المسيحية .

القمص : أحسنْتَ ياجريجوري إذ شَرَحْتَ لزوجتِكَ.

جريجوري: لكنْ إلى أي مدًى نستطيعُ أن نطمَئِن إلى هؤلاء المسلمين ؟ ألا تَخْشَوْن ألا يطولَ بهم العهدُ حتى يكونُوا علينا شراً من الروم ؟

ماريا : شراً من الروم ؟ هذا محالٌ .

القمص : المستقبل علمُه عند الله وإنّما لنا الحاضر. ولم يُنْقَل عنهم في هذه السنوات الثلاث منذ جاءوا يغزون الشام أنهم أكرَهوا أحداً على

الخروجِ من دينه أو الدخولِ في دينِهم .

أنّا : ومع ذلك فقد ارتدّ إلى دينهم كثيرٌ من الناس .

القمص : من ارتدّ بمَحْض اختيارِه فذنبُه على جنبه .

أنّا : لكنهم بذلك يا أبانا القمص أخطرُ على مذهبِنا من الروم .

القمص : ما دام في وُسْعِنا أن نجْبَرَ بدعْوَة أتباعنا إلى التمسُّك بمذهبنا دون أن تُجدعَ أنوفُنا لذلك ، أو تُصْلَمَ آذانُنا ، أو تُهدم بيوتُنا كما كان يفعل الروم بنا ، فلا سبيل لنا على هؤلاء المسلمين .

أنّا : لا نستطيع يا أبانا أن نَحكم بعدُ على هؤلاء البدْوِ الأجْلاف .

داود : يا أنّا يا حبيبتي ألست يعقُوبيّة ؟

أنّا : يا داود يا حبيبي أنا يعقوبية أكثرُ إخلاصاً منك .

داود : فعلَامَ هذا التحاملُ على قوم لم يمسَّنا منهم سوءٌ قط ، بل نرجو على أيديهم أن تعودَ الحريةُ الدينية لليعاقبة في كل مكان ؟

جريجوري: إن امرأتَكَ يا داود إنما تريد أن تنصحَنا بالاحتراسِ من هؤلاء المسلمين ، وهي على حق ، فمَن يَدري لعلهم يَظهَرون على حقيقتهم حين يَتِمُّ لهم الاستيلاءُ على جميع البلاد .

داود : كلا كلا ليس في الإمكان أن يخدَعُونا عن حقيقتهم . انظر إلى جيشِهم الذي مرَّ بديارنا هذه منذُ شهْر ، وَوَازِنْ بينهم وبين جيُوش الروم التي كانت تمرُّ بنا من قبل ، فأين سلوكُ هؤلاء وأين سلوك أولئك ؟

القمص : صهْ .. هذا عُمارة جاسوسُ الأطربون قد أقبل فخُوضُوا في حديث آخر .

(يدخل عمارة العكّيّ)

عمارة : عِمْ صباحاً يا أبانا . عِمُوا صباحاً يا قوم .

القمص : صباح الخير يا عمارة .

الجماعة : صباح الخير .

القمص : اجلس يا عمارة .

عمارة : أَما عندكم من أخبار عن ملك المسلمين ؟

القمص : يُقال أنه في الطّريق .

عمارة : بلغنا يا قُمّص يعقوب أنك بعثْتَ من يستقبلُه في الطريق ويدعُوه لينزلَ ضيفاً عليك .

القمص : أنا أضيفُ الملوكَ يا عمارة ؟ من أين ؟

عمارة : هذا ملك بَدَوِي صُعْلوك لا تكلفك ضيافتُه شيئاً .

القمص : أليس ملكاً وكفَى ؟

عمارة : علَام إذن بعثت رجالاً يستقبلونه في الطريق ؟

القمص : ما بعثت غير شمّاسَيْن من مريديّ لِيَتنَسَّمَا لي أخبارَه .

عمارة : وماذا تصنع باخباره ؟

القمص : أنا راعِي هذا الدَّيْرَ القائمَ على الطريق فينبغي عليَّ أن أستقبله إذا نزلَ بجِوَارِنا أو مرَّ .

عمارة : ولماذا ينبغي عليك أن تستقبلَه ؟

القمص : مُجَاملةً لا تكلفني شيئاً ، ولعلّي بها أتخذُ يداً عنده لأهل هذه البلدة .

عمارة : كأنك يا قمّص قد أصبحتَ تُؤْمِن من الآن أن دَوْلةَ الروم قد انطوَتْ وأن العاقبةَ لهؤلاء المسلمين ؟

القمص : يا بُني لِمَ كل هذه الأسئلة ؟ إن كانت العاقبة للروم فلن يؤَاخِذُونا يومئذ على مجاملة قُمْنا بها لهؤلاء المتغلّبين .

عمارة : هل لي يا قُمّص أن أُكلّمَك على حِدَة ؟

الأربعة : (ينهضون) نحن يا أبانا ننصَرِفُ .

القمص : لا بل ادْخُلُوا الدير واجلسُوا في الفِنَاء الشرقي .

(يخرجون)

هاتِ ما عندك .

عمارة : ينبغي أن تعلمَ أن العاقبةَ للروم، وأن هؤلاء لن يبْقُوا في البلاد أطولَ ممّا بقِيَ الفُرس . فهل لك يا أبانا أن تَتَّخِذَ لك يداً أُخرى عند القيصر ؟

القمص : وأين هو القيصر وماذا يُوصّلني إليه ؟

عمارة : أنا أكلمُك باسم الاطْرَبُون ، والاطربون يتكلم باسم القيصر . في وُسْعك أن تكون بِطْرِيقاً لإيلياء عمَّا قريبٍ .

القمص : والبِطْرِيق صفرونيوس ؟

عمارة : ألا تعلمُ أنه غيرُ مرضِيٍّ عنه ؟ ثم إنه شَيْخ فانٍ .

القمص : أنا قانِعٌ يا بني بما أنا فيه ، وأحمدُ الله على ذلك . خبِّرْني الآن ماذا تريد مني ؟

عمارة : الآن وصلْنا إلى بيت القَصِيد . كل ما نريده منك أن تكْفِينا هذا الرجل .

القمص : مَنْ ؟

عمارة : أَتتَغَابَى ؟ ملك المسلمين هذا .

القمص : أَجادٌّ أنت أم تمزح ؟

عمارة : بل جادّ .

القمص : أتراني رَاعِي دير أم فارس حَلبة ؟

عمارة : الأمر أيْسرُ من ذلك . ما عليك إلا أن تضَعَ هذا السمَّ فيما يأكلُه من عندك أو يشرُبه .

(يخرج كيساً صغيراً من بين ثيابه)

القمص : هَاتِ .

عمارة : (فرحاً) هاك .. (يقبل رأسه) إنك لا تدْري يا أبانا الشجاع الطيب أيَّ خدمةٍ نُسْدِيها إلى الاطربون، وإلى قيصر ، وإلى الدولة ، وإلى المسيحية قاطبة !

القمص : وفقنا اللهُ إلى ما يُرْضِي السيدَ المسيحَ .

عمارة : آمين آمين ..

(يرسم الصليب ويتمسح بثياب القمص)

القمص : إن الرجل سينزل اليوم عندنا بجوارِ الدير .

عمارة : من ذا أخبرك ؟

القمص : الشمّاسان . ولعله الآن يُوشِك أن يصِل ، فمن الخير أن تنصرِفَ أنت حتى لا يَرْتاب أحدٌ .

عمارة : صدقْت .

(يخرج)

القمص : (ينـادي) أنّا .. ماريا .. جريجوري .. داود .. تعالَوا ..

(يعود الأربعة إلى مقاعدهم وهم صامتون)

القمص : كدْتِ تفرَغين من قميصك يا ماريا ؟

ماريا : نعم ما بَقِي إلا قليلٌ .. (تنشره بين يديها) انظروا .. كأنه جوالق !

جريجوري : (في سخرية خفية) لو يعلمُ أنك أنت التي خِطْتِ له لمَنحَك جائزةً سَنِيّة .

أنّا : كيساً من التَّمْر ؟

جريجوري : أو شَمْلة محشوة بالليف .

ماريا : وَحياة العذْراء لو سمَحَ لي هـذا الرجل لغسَلْتُ قدمَيْه بالطِّيب كما فعَلَتْ المجدَلِيَّةُ بقدَمَيْ السيد المسيح . (تضم القميص إلى صدرها وتقبله)

أنّا : ما هذا الكلام يا ماريا ؟ أتقْرِنينَه بالسيد ؟

ماريا : لمَ لا ؟ كلاهُما مُخَلِّصٌ . السيد خلَّصنا من خطيئة آدم وهذا خلَّصَنا من اضْطِهاد هرقل .

(يدخل زكريا ويوسف مسرعين)

الاثنان : يا أبانا القمص ! هذا ملكُ المسلمين قد أقبَلَ !

(يتطلع الجميع إلى الطريق)

القمص : زكريا احضر لي ياولدي جُبَّتي الكَهَنُوتِيَّة .

(يخرج زكريا)

أيُّهم هو يا يوسف ؟

داود : لعله ذاك الذي على الجواد الأبيض ؟

يوسف : كلا .. الذين على الجيادِ هم أصحابُه .

ماريا : فأين هو ؟

يوسف : لا أستطيعُ أن أرى جيداً من هنا .

ماريا : أنت ضعيفُ البَصَر .. ليت أبانا القمص بعثَكَ أنت وترك لنا زكريا .

يوسف : ها هو ذاك خلفَهم على الجمل الأوْرَق !

ماريا : ولكن هذا متوسِّط الجسم وليس بعِمْلَاق كما وَصفْتُمَاه .

أنّا : مبالغةٌ وتَهْويلٌ .

(يعود زكريا بالجبة فيساعد القمص على ارتدائها)

القمص : تعالَ رَافِقْني أنت يا يوسف .

(يخرج ومعه يوسف)

ماريا : أدركْنا يا زكريا . تعالَ أرِنا أيَّهم ملك المسلمين؟

زكريا : (يتطلع) ذاك الذي يُمسِكُ بخُطَام الجَمَل .

داود : ذاك المَاشِي أمامَ الجمل .

زكريا : نعم .

ماريا : هذا حقاً عِملَاقٌ .. كأنه شَمْشُون الجبار .

داود : ومن الراكب على الجمل ؟

زكريا : هذا غلامُه .

داود : عبدُه ؟

زكريا : نعم .. أخبَرني عبده هذا أنهما يتعَاقَبان على الجمل طُولَ الطريق .

داود : نحن أمام اسْطُورة .

أنّا : بدو لا يعرفون آداب السُّلُوك .. هـذا كلُّ ما هُنَاك .

داود : أنّا ألا ترْجِعين يا حبيبتي إلى البيت ؟

أنّا : كلا يا حبيبي .. أشْتَهي أن أتفرجَ معك .

ماريا : انظروا إنه يصافحُ القمص يعقُوبَ .

داود : ويضرب على كتِفِ يوسف .

ماريا : يداعبُه . وي ! إنهم آتُون ! استعِدُّوا يا جماعة !

(يقف الجميع صفاً)

داود : أنّا يا حبيبتي . ابسُطِي وجهَك . تَخلَّصِي من هذا العَبُوسِ .

أنّا : داود يا حبيبي اهتَمَّ أنت بشأن نفسك .

ماريا : جريجوري ابتسم يا جريجوري .

جريجوري: ابتسمْتُ يا ماريا .

ماريا : سيُسَطَّر في التاريخ غداً أن امرأتَك هي التي خاطَت له القميص !

(يدخل القمص ومعه عمر وأصحابه وغلامه أسلم)

القمص : هؤلاء من أصدقاءِ الدَّيْر .

عمر : مرحباً مرحباً ..

(يدخل زكريا يحمل طبقاً فيه أقداح)

القمص : (يأخذ قدحاً فيقدمه لعمر) اشرب يا سيدي .. هذا مصنوع في الدَّيْر .

عمر : (ينظر في القدح) نقيع الزبيب ؟

القمص : نعم .

عمر : باسم الله (يشرب ويشرب الآخرون) هذا شرابٌ طيّب .

القمص : نزيدُك يا سيدي ؟

عمر : حسْبُنا هذا . جُزِيتَ خيراً أيُّها الراعي الصالح (يتحرك لينصرف)

القمص : ألا تنزُلون يا سيدي عندنا في الدير ؟

عمر : جزيت خيراً . نحن لا ننزِلُ إلا في ظِلَالِ النَّخِيل .

القمص : هاتي القميص يا ماريا .

ماريا : ها هوذا يا أبانا القُمّص .

القمص : هذا قميص فصّلناه لك وخاطَتْه هذه السيدة .

عمر : (ينظر إلى زكريا ويوسف كالعاتب ثم يبتسم ويأخذ القميص)
أحَرِيرٌ هذا ؟

القمص : (كالمعتذر) لا يا سيدي .. مـــا كان عندنا حريرٌ .

عمر : فما هذا؟

القمص : هذا كتّان .

عمر : لو كان حريراً ما قبلتُه . يوسف !

يوسف : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : قُدْني إلى مكان خـال لأرتَدِيَ هـــذا القميصَ .

يوسف : هلُمَّ معي يا أمير المؤمنين (يخرج ويخرج خلْفَه عمر)

القمص : يا أمير المؤمنين ؟

زكريا : هكذا يدعُونَه يا أبانا القمص .

القمص : وَيْلَكما هلّا أخبَرتماني بذلك من قبل ؟

(يعود عمر وقد لبس القميص الجديد وبيده القيص القديم وقد طواه)

ماريا : انظري يا أنا .. قميصي على جسده !

أنّا : خُذِي قميصَه القديم وارتديه .. على جسدك !

عمر : هل لكم أن تَغْسِلُوا قميصي هذا وتخِيطُوه ؟

القمص : حباً وكرامة يا أمير المؤمنين .

(يأخذ القميص فتسرع ماريا فتأخذه منه)

أَلَا نعملُ لك قميصاً ثانيـاً يا أمير المؤمنين وتَدَع هذا فقد تخرَّق ؟

عمر : قميصي هذا أيها الراعي الصالح أصلحُ لي وأحبُّ إليَّ .

القمص : يا أمير المؤمنين هل لي أن أقـدم نصيحةً لك ؟

عمر : هاتِ نصيحَتك .

القمص : أنت ملك العرب، وأنت قادم غداً على الروم، فلو لبست شيئاً غيرَ هذا وركبْت بِرْذَوْناً فارهاً لكان ذلك أعظمُ في أعْيُن الروم .

عمر : ويحك أيها الراعي الصالح .. لو أردْنا ذلك لكان لنا ما نُرِيد ، ولكنا قومٌ أعزَّنا الله

بالإسلام فلا نلتمس العزّ من غيرِه .

القمص : يا أمير المؤمنين كلمةٌ في أُذُنِكَ (يسارّ عمر بحديث)

عمر : (يبتسم) جُزِيتَ خيراً على نُصْحِكَ وبرِّك. أيها الراعي الصالح لا تخَفْ علينا من كيدِ هؤلاء فإن اللهَ معنا وهو حسْبُنا ونعم الوكيلُ .

المشهد السادس

منبسَط من الارض بقرب (مُؤتة) حيث أناخ عمر وأصحابه .

أسلم : (يصيح فجأة) يا أمير المؤمنين .. خيلٌ مُقْبلةٌ !

ابن عوف : (يتطلع) هذه خيل المسلمين يا أمير المؤمنين.. لعل جاءوا لاستقبالك .

عمر : (يظهر) إني أمرتُهم بمُوَافاتي إلى الجابِيَة ولم آمُر أحداً باستقبالي في الطريق .

ابن عوف : لعلهم خافُوا عليك ما خافَه عليك راهبُ أيْلَة .

عمر : هذا خالد بن الوليد يا عبد الرحمن .. ذكرْناه الساعة فحضَر .

ابن عوف : عرفتَه من هذا البُعْد؟

عمر : إني أعرفُ نِزْوَته على الخيل . ويلٌ لهم ما هذه الثياب التي عليهم ؟

ابن عوف : إنها تلمَع كسَرَقِ الحرير .

عمر : قاتَلَهم الله أوَقد اتَّبَعُوا سَنَنَ الروم ؟ ابْغِني من هذه الحجارة يا أسلم .

ابن عوف : أصبت يا أمير المؤمنين هذا خالد . والله ما عرفْتُه بهذا الزيّ .

عمر : (يتناول حجارة فيقذف بها صوب اليمين) قاتلَكم الله .

خالد : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : لا سلام عليكم (يمضي في قذفهم بالحجارة) إياكم أن تدنُوا مني قبل أن تخلَعُوا هذا الذي عليكم وإلا حصَبْتُكم ورَجَمْتُكم . سَرُعَ ما لُفِتُّمْ

عن رأيكم . إياي تستَقْبِلُون في هذا الزي ؟ وإنما شَبِعْتُم منذ سنتَيْن . سَرُعَ ما ندّتْ بكم البطنَة . تالله لو فعلتُمُوها على رأسِ المائتَيْن لاستبدَلْتُ بكم عيرَكم .

ابن عوف : إنها الدنيا يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا والله يا ابن عوف .. أمّا وأنا عليْهم فلَا .

ابن عوف : رُوَيْدَك يا أمير المؤمنين .. إنهم يخلعون ما عليهم .

(يدخل خالد ونفر من رجاله وبأيديهم اليَلَامِقَةُ ـ الأقبية ـ تَبْرُق)

خالد : يا أمير المؤمنين وإذا حُييتم بتحية فحيّوا بأحسَنَ منها أو رُدُّوها .

عمر : وهذه الثياب عليكم؟

خالد : هذه يَلَامِقَةٌ يلبسُها الفرسان هنا على الحديدِ والسلاحِ لتكونَ أهْوَلَ للعدو وأرْوعَ .

عمر : من سَرَقِ الحرير؟

خالد : بل من الدِّيبَاج يا أمير المؤمنين .

عمر : (يتحسسها بيده) تلبسونها دائماً على الحديد والسلاح ؟

خالد : كما ترى .

عمر : (ينقلب من السخط إلى الرضا جملة واحدة) وعليكم السلام ورحمة الله . لا بأسَ إذن يا أبا سليمان .. دعْني أعانِقْكَ . (يعانقه بحرارة وشوق) والله لقد كنْتَ طول اليوم ببَالي مُذْ قيل أننا قادمون من مُؤْتة .

خالد : فهذه مُؤْتة يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل .. لقد ترحّمْت على الشهداء الثلاثة زيدٍ وجعفرٍ وابن رَوَاحة ، وذكرتُ رسولَ الله ﷺ وهو ينعَاهم على المِنْبَر واحداً بعد واحد ، والدموعُ في عينيْه إلى أن قال: ثم أخذ الرايةَ سيْفٌ من سيوفِ الله ففُتِحَ له. فلا والله ما اشْتَقْتُ إلى أحد قط أن أضمّه

وأعانقَه كما اشتقت إليك اليوم.

خالد : (يعود فيعانق عمر) بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . والله إنّا لَنَظْلمك كثيراً إذ ننظرُ إليك كما ننظرُ إلى غيرِك من الرجال . أنت طِرازٌ آخرُ . أنت نسيج وحدك .

عمر : (كالكاره لذلك) مهْ يا خالد أَرِني كيف فعلت ذلك اليوم في هذا السهل ؟

خالد : أَتَرَى إلى ذلك التل يا أمير المؤمنين؟ لقد كان من خلفنا وقد أحاطَ الروم بنا إحاطةَ السِّوَار بالمِعْصَم ، فأمرتُ رجالي فدارُوا حولَه في كَرَادِيسَ ، فتوهّم الروم أن إمداداً جاءتنا تَتْرَى فتقهقروا عنا ليأتَمِرُوا فيما بينهم فاهْتَبَلْتُ الفرصة ونجوْتُ بالمسلمين .

عمر : وكم كان عددُ الروم يومذاك؟

خالد : كم يا رومانوس ؟ أنت كنت معهم .

رومانوس : مائةُ ألفٍ من الروم وخمسون ألفاً من العرب .

خالد : بل من الدِّيبَاج يا أمير المؤمنين .

عمر : (يتحسسها بيده) تلبسونها دائماً على الحديد والسلاح ؟

خالد : كما ترى .

عمر : (ينقلب من السخط إلى الرضا جملة واحدة) وعليكم السلام ورحمة الله . لا بأسَ إذن يا أبا سليمان .. دعْني أعانِقْكَ . (يعانقه بحرارة وشوق) والله لقد كنْتَ طول اليوم ببَالي مُذْ قيل أننا قادمون من مُوتة .

خالد : فهذه مُوتة يا أمير المؤمنين .

عمر : أجل .. لقد ترحّمْت على الشهداء الثلاثة زيدٍ وجعفرٍ وابن رَوَاحةٍ ، وذكرتُ رسولَ الله ﷺ وهو ينعاهم على المِنْبَر واحداً بعد واحد ، والدموعُ في عينيْه إلى أن قال: ثم أخذ الرايةَ سيْفٌ من سيوفِ الله ففُتِحَ له. فلا والله ما اشْتَقْتُ إلى أحد قط أن أضمّه

وأعانقه كما اشتقت إليك اليوم.

خالد : (يعود فيعانق عمر) بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين . والله إنّا لَنَظْلمك كثيراً إذ ننظرُ إليك كما ننظرُ إلى غيرِك من الرجال . أنت طِرازٌ آخرُ . أنت نسيج وحدك .

عمر : (كالكاره لذلك) مهْ يا خالد أَرِني كيف فعلت ذلك اليوم في هذا السهل ؟

خالد : أَتَرَى إلى ذلك التل يا أمير المؤمنين؟ لقد كان من خلفنا وقد أحاطَ الروم بنا إحاطةَ السِّوَار بالمِعْصَم ، فأمرتُ رجالي فدارُوا حولَه في كَرَادِيسَ ، فتوهّم الروم أن إمداداً جاءتنا تَتْرَى فتقهقروا عنا ليأتَمِرُوا فيما بينهم فاهْتَبَلْتُ الفرصة ونجوْتُ بالمسلمين .

عمر : وكم كان عددُ الروم يومذاك؟

خالد : كم يا رومانوس ؟ أنت كنت معهم .

رومانوس : مائةُ ألفٍ من الروم وخمسون ألفاً من العرب .

عمر : رومانوس ؟ حاكم بُصْرى الذي أَسْلَم ؟

خالد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحك هلّا عرّفتني به من قبلُ ؟ أهلاً بك وسهلاً يا أبا الروم ! قد سمعتُ أنك حكيمٌ والله تبارك وتعالى يقول : وَمَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً .

رومانوس : مرحباً بك في أرض الشام يا أمير المؤمنين .

عمر : وإنك لتُحْسِنُ الكلام بالعربية ؟

رومانوس : من طُولِ ما خالطت العرب . ألم تسمع يا أمير المؤمنين بسيرة بحيرا الراهب ؟

عمر : بلى فهل لَقِيتَه يا أبا الروم ؟

رومانوس : بل لقيت بعضَ مَنْ لَقِيَه

سفيان . الحمد لله إذ سبقتُه إليك .

عمر : انطلقتُما من بُقْعَةٍ واحدة ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين .. أنا جئت من أقصى الشمال ، وقد مَرَرْتُ اليوم ضُحىً بدمشق ، فوجدْتُه قد انطلَقَ من الفجر ، فأقسمت على ربي لأسبقَنّه إليك ، وقد أبرّ الله قسمي ولله الحمد .

عمر : هذا الزهوُ فيكم يا آلَ المغيرة !

خالد : ما رأيت ابن أخت قوم أعقّ منك يا عمر !

يزيد : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

عمر : رومانوس ؟ حاكم بُصْرى الذي أَسْلَم ؟

خالد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ويحك هلّا عرّفتني به من قبـلُ ؟ أهلاً بك وسهلاً يا أبا الروم ! قد سمعتُ أنك حكيمٌ والله تبـارك وتعالى يقول : ومَنْ يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً .

رومانوس : مرحباً بك في أرض الشام يا أمـير المؤمنين .

عمر : وإنك لتُحْسِنُ الكلام بالعربية ؟

رومانوس : من طُولِ مـا خالطت العرب . ألم تسمع يا أمير المؤمنين بِسِيرة بحِيرَا الراهب ؟

عمر : بلى فهل لَقِيتَه يا أبا الروم ؟

رومانوس : بـل لقيت بعضَ مَنْ لَقَوْه يا أمير المؤمنين فحدثوني من أمر رسول الله ﷺ بمـا حدَّثهم به .

أسلم : يا أمير المؤمنين تلك خيلٌ أخرى .

خالد : (يلتفت وينظر) هذه خيلُ يزيدَ بن أبي

سفيان . الحمد لله إذ سبقتُه إليك .

عمر : انطلقتُـما من بُقْعَةٍ واحدة ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين .. أنا جئت من أقْصَى الشمال ، وقد مَرَرْتُ اليوم ضُحىً بدمشق ، فوجدْتُه قد انطلَقَ من الفجر ، فأقسمت على ربي لأسبقَنّه إليك ، وقد أبرّ الله قسمي ولله الحمد .

عمر : هذا الزهْوُ فيكم يا آلَ المغيرة !

خالد : ما رأيت ابن أخت قوم أعقَّ منك يا عمر !

يزيد : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

(يدخل يزيد بن أبي سفيان وبعض رجاله)

خالد : يا أمير المؤمنين مُرْهم يخْلَعُوا مـا عليهم مثْلَنا .

عمر : ويحك قد علمْتُ أنها اليَلَامِقَة وأن من تحتها الدِّرْعَ والسلاحَ .

خالد : وَإنْ .. ينبغي أن تَعْدِلَ بينهم وبين رجالي.

عمر : صدقت .. اخلعُوا عنكم هـــذه اليلامقةَ (يخلعونها) أما إنك لحَفِيٌّ برجالِك ياخالد.

خالد : هم قُوّتي يا أمير المؤمنين وأنا بهم أُصولُ وأنتصر .

عمر : فهل أحصِبُ هؤلاء بالحجارة أيضاً مِثْلكم ؟

خالد : لا يا أمير المؤمنين لا تفعـــل .. تلك آيَةُ سبقِنا إليك .

عمر : اجلسُوا اجلسوا (يجلس فيجلسون) كيف الحالُ في دمشق يا يزيد ؟

يزيد : على خير ما تحب يا أمير المؤمنين من الأمنِ والعافيةِ .

عمر : وماذا فعل أخوك معاويةُ ؟

يزيد : ، قد بعَثْتُه كما أمرْتَ يا أمير المؤمنين ليحاصرَ قيسارية حتى لا يصل منها شيءٌ إلى إيليـــاء والرملة .

عمر : أتراه قد وُفِّق أم تبعَثُ مكانَه من يخلُفُه ؟

يزيد : بل وفّقْتَ أنت في اختياره يا أمير المؤمنين. إنه لكيّس أَرِيبٌ .

عمر : أما إنك لأحبُّ إلينا منه .. ليس فيك عِرْقُ الجبّارين من آل عُتْبة بن ربيعة .

(يدخل أحد رجال يزيد فيضع بين يديه ربطة ثياب ثم يخرج)

عمر : ما هذا يا ابن أبي سفيان ؟

يزيد : ثيابٌ أحضرتُها يا أمير المؤمنين لتلبسَها عند دُخولِكَ الشامَ .

عمر : أَتَرَاني عُرْيانَ يا ابن أبي سفيان ؟

يزيد : هذه أصلحُ يا أمير المؤمنين وأعظم في عيون الروم .

عمر : قبح الله رأيَك . أأردْت أن تعرَضني دُمْيةً لعيُونِ الروم ؟ إليكم بها عني ! (يرميها يزيد إلى أحد رجاله) ويلك لقد ظننتُ آنِفاً أن

العِلّةَ في عِرْق آل عُتبة فإذا هي في عِرْق آل حَرْب !

يزيد : يا أمير المؤمنين اجتهدتُ فاخطأتُ فهبْها لي فوالله ما أردت إلا الخيرَ وما قصدْتُ غيرَ وجه الله .

عمر : (تدركه الرقة) يغفرُ اللهُ لكم إنكم تلْبَسُون هذه اليلامقة وتزعُمُون أنها أهْيَبُ في صدُور الروم فلا جناحَ عليكم ، فما بالُكم تريدون أن تفتنوني ولستُ مُقيماً عندكم وليس لي عُذرُكم .

يزيد : سامحْني يا أمير المؤمنين .

عمر : قد فعلْتُ فلا تعُودَنَّ إلى مثلِها .

(يلتفت إلى خالد) وأين أخي أبو عبيدة يا خالد ؟

خالد : إنه من خلْفي يا أمير المؤمنين ، وسيُوافيك بالجابيَةِ وقد أرسلَني لاستقبالك مكانَه .

عمر : أما إنه ليُحبّك يا خالدُ .

خالد : وإني لأحبه كذلك ووالله إنه لخيْرٌ لي منك .

عمر : (يبتسم) ما زلتَ واجداً عليَّ يا خالد؟

خالد : ذهب جُلُّه يا أمير المؤمنين وبقي رَسيسُه ،

عمر : فطِبْ بالاً فإني قد عزمت على تولِيَتِك قنّسرين.

خالد : عجباً .. تُرَى ماذا غيَّر رأيك فيَّ ؟

عمر : كلا إن رأيي فيك لم يتغيَّر ولكني سأشترِطُ عليك .

خالد : تشترط عليَّ ماذا ؟

عمر : ألّا تُعطي أحداً من مال الله إلا بأمْري .

خالد : لا والله لا أقبلُ .. لقد أَبَيْتُ مثلَ هذا من أبي بكر .. فكيف أقبلُه منك ؟ لا حاجةَ بي إلى عملك . دعْني هكذا مع أبي عبيدة فهو يعرفُ لي قَدْري وأنا أعرفُ له قدْرَه. والله يا عمر لو كنا نعمَل من أجلك ما عَمِلنا شيئاً ولكنا إنما نعملُ لله عز وجل .

عمر : يا خالد إني كنت قد عزَمْت على توليتك قنّسرين فلا تجعلْني أعْدِل عن ذلك إذا ما أبيْت أن تخْشَى اللهَ في مال المسلمين .

خالد : كلا لا أقبلُ شرطَ أحدٍ . إن اللهَ ربي كما هو ربُّك وإني لأخشاه كما تخشاه أنت .. أم تظنُّ يا عمر أنك وحدك تخشاه ؟؟

عمر : معاذ الله يا أبا سليمان ولكني أريد منك أن تُعينَني على نفسك ، وأن تَظُن بي خيراً مهْما يَسُوءُك مني من شيء ..

أسلم : (يصيح مرة ثالثة) أمير المؤمنين .. هذه خيلٌ ثالثة !

خالد : (يلتفت وينظر) هذه خيل عمرو بن العاص من فلسطين .

عمرو : (صوته) السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .

عمرو : الحمد لله يا أمير المؤمنين إذْ سلَّمَك الله .

عمر : وأين اليلامقة ؟ ألا تلْبَسُون يَلَامِقَة لتكون أرهَبَ للعدو ؟

عمرو : (يبتسم) ما كنت أعلم أنك تحبُّها يا أمير المؤمنين .

عمر : بل خلعتُمُوها يا ابن العاص وأخفيتموها عني .

عمرو : أَجلْ يا أمير المؤمنين قد علمتُ أنها ستُثير غضبَك إلّا أن تعرفَ حقيقَتَها .

عمر : فقد عرفت حقيقَتَها .

عمرو : من غيري يا أمير المؤمنين .. (ينظر إلى خالد فيبتسم خالد كأنه يقول له نعم أنا الذي وقعَ عليَّ غضبُه)

خالد : يا أمير المؤمنين فاحصِبْ عَمْراً ورجالَه بالحجارة كما فعلت بنا .

عمر : (ضاحكاً) هَيْهات يا أبا سليمان ... تلك آية سَبْقِك وسبْق رجالك !

(يلتفت إلى عمْرو) وماذا فعل أطربون الروم

يا اطربون العرب ؟

عمرو : (يضحك و يضحك الآخرون) انظر يا أمير المؤمنين ماذا فعل.. (يشير إلى جهة اليمين)

عمر : ما هؤلاء ؟ ما بالهم مكتوفين ؟

عمرو : هؤلاء أسرناهم من كوكبة من الفرسان ارسلهم الاطربون لاغتيالك في الطريق ، فأدركناهم عند بيت جبرين فقتلنا منهم وانهزم الباقون .

عمر : ويلهم هؤلاء عرب ؟

عمرو : أجل .. عبيد الروم يا أمير المؤمنين فهم شر من الروم .

خالد : فعلام أبقيت عليهم يا عمرو ؟

عمرو : حتى أرسلهم مع بعض رجالي إلى أيلة ليدلوهم على راهب هناك زعموا أنه أعد لأمير المؤمنين شراباً مسموماً ليسقيه إياه إذا ما نزل عنده . فالحمد لله إذ نجا أمير المؤمنين من كيده .

عمر : وما اسم ذلك الراهب ؟

عمرو : (يلتفت إلى رجاله) ائتوني بذلك الفتى العكّي .

(يدخل عمارة العكي يسوقه أحد رجال عمرو)

عمرو : ما اسم الراهب .. الذي حدّثتني عنه ؟

عمارة : اسمه يعقوب .

عمر : واسمك عُمارة ؟

عمارة : نعم .

عمر : لقد صدق راهبُ أيلة .. ابعِدُوا هذا أبعده الله فقد كذبَ على الرجل الصالح يعقوب .

يا اطربون العرب؟

عمرو : (يضحك و يضحك الآخرون) انظر يا أمير المؤمنين ماذا فعل.. (يشير إلى جهة اليمين)

عمر : ما هؤلاء ؟ ما بالُهم مكتوفين ؟

عمرو : هؤلاء أسرناهم من كوكَبَـــةٍ من الفرسان ارسلهم الاطربون لاغتيالِكَ في الطريق ، فادرَكْناهم عند بيت جبرين فقتلنـــا منهم وانهزمَ الباقون .

عمر : ويلهم هؤلاء عرب؟

عمْرو : أجل .. عبيد الروم يا أمير المؤمنين فهم شر من الروم .

خالد : فعلَامَ أبقَيْتَ عليهم يا عَمْرو ؟

عمرو : حتى أرسلهم مع بعض رجالي إلى أيْلَة ليدلوهم على راهبٍ هناك زعَمُوا أنه أعد لأمير المؤمنين شراباً مسمُوماً ليَسقيَه إياه إذا ما نزل عنده .

عمر : وما اسم ذلك الراهب ؟

عمرو : (يلتفت إلى رجاله) ائتوني بذلك الفَتَى العكّي .

(يدخل عمارة العكي يسوقه أحد رجال عمرو)

عمرو : ما اسم الراهب .. الذي حدّثتني عنه ؟

عمارة : اسمه يعقوب .

عمر : واسمك عُمارة ؟

عمارة : نعم .

عمر : لقد صدق راهبُ أيلَة .. ابعِدُوا هذا أبعدَه الله فقد كَذَبَ على الرجل الصالح يعقوب .

يا اطربون العرب ؟

عمرو : (يضحك و يضحك الآخرون) انظر يا أمير المؤمنين ماذا فعل.. (يشير إلى جهة اليمين)

عمر : ما هؤلاء ؟ ما بالُهم مكتوفين ؟

عمرو : هؤلاء أسرناهم من كوكَبَـــةٍ من الفرسان ارسلهم الاطربون لاغتيالِكَ في الطريق ، فادركْناهم عند بيت جبرين فقتلنـــا منهم وانهزمَ الباقون .

عمر : ويلهم هؤلاء عرب ؟

عمْرو : أجل .. عبيد الروم يا أمير المؤمنين فهم شر من الروم .

خالد : فعلَامَ أبقَيْتَ عليهم يا عَمْرو ؟

عمرو : حتى أرسلهم مع بعض رجالي إلى أيْلَة ليدلوهم على راهبٍ هناك زعَمُوا أنه أعد لأمير المؤمنين شراباً مسمُوماً ليَسقِيَه إياه إذا ما نزل عنده . فالحمدُ لله إذْ نجا أميرُ المؤمنين من كيده .

عمر : وما اسم ذلك الراهب ؟

عمرو : (يلتفت إلى رجاله) ائتوني بذلك الفَتَى العكّي .

(يدخل عمارة العكي يسوقه أحد رجال عمرو)

عمرو : ما اسم الراهب .. الذي حدّثتني عنه ؟

عمارة : اسمه يعقوب .

عمر : واسمك عُمارة ؟

عمارة : نعم .

عمر : لقد صدق راهبُ أيلَة .. ابعِدُوا هذا أبعدَه الله فقد كَذَبَ على الرجل الصالح يعقوب .